بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ : حسين آل الشيخ

بتاريخ : ١٣- ٧-١٤٢٣هـ

والتي تحدث فيها فضيلته عن : محاسن الأخلاق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمـدًا عبـده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

معاشر المؤمنين، لقد أشرقت الأرض بنور رسالة الإسلام، وأضاءت ببعثة سيد الأنام محمدٍ عليه أفضـل الصلاة والسلام. رسالةٌ تضمَّنت الرحمة للعالمين والزكاةَ والصلاح لحياة الناس أجمعين. ما مـن شـيء تدعو إليه الفطر السليمة والعقول الحكيمة إلا ودعت إليه ورغّبت فيه، وما من شـيء ترفضـه العقـول السليمة والطباع المستقيمة إلا وقد نهت عنه وحذّرت منه. جاءت بالدعوة إلى تزكية النفوس وتقويم القلوب وإصلاح الباطن والظاهر والخلق والسلوك. رسالةٌ تدور كلُّها مع أزكى السجايا وأنبل الطبـاع وأحسـن الأخلاق وأصلح الخصال، يقول سبحانه في وصف صاحب الرسالة محمدٍ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

نعم، إنها الرسالة التي تقوم أصولُها التشريعية والتهذيبية على الأساس الأخلاقي. رسالةٌ مـن الأهـداف الكبرى لها ومن المقاصد العظمى في تشريعاتها الأمرُ مصالح الأخلاق وكريم الطباع، والدعوةُ إلى ذلـك قولا وفعلا وسلوكا، يقول سبحانه مقرِّراً مبدأً من مبادئ محاسن الأخلاق القولية: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، ويقول سبحانه مؤصِّلا لمبدأ محاسن الأخلاق الفعلية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِـىَ أَحْسَـنُ ٱلسَّـيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٣٤:٩٦]، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، وفي هذا الشأن كله يقول من اتّصف بقمّة الكمال الإنساني وغاية النبل البشري محمد ﷺ: ((إنمـا بُعثـت لأتمِّم صالح الأخلاق)) صححه ابن عبد البر.

إخوة الإسلام، محاسن الأخلاق أساس من أسس كمال الإيمان، ومظهر من مظاهر الإسـلام، يقـول ﷺ:

((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خُلقا)) صححه ابن حبان والحاكم، ويقول ﷺ: ((البر حسن الخلق)) رواه مسلم.

معاشر المؤمنين، الالتزام بمحاسن الأخلاق سببٌ في رفع الدرجة وعلوِّ المكانة وسموّ القدر، قال ﷺ: ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محِقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)) صححه النووي. وفي صحيح البخاري قوله ﷺ: ((إن من خيركم أحاسنكم أخلاقا)).

والمؤمن بحسن خلقه قولا وفعلا منهجا وسلوكا أخذا وإعطاءً يدرك منازلَ السعداء الفائزين والعاملين المجاهدين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنةَ فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)) صححه ابن حبان وهو صحيح بشواهده، ويقول ﷺ: ((وإن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)) صححه ابن حبان وله شاهد صحيح عن الحاكم.

إخوة الإسلام، الاتصاف بمحاسن الأخلاق والتمثّل في الحياة بكريم السجايا وصالح الصفات سببٌ عظيم لمرافقة النبي ﷺ في الآخرة، فرسولنا ﷺ يقول: ((إن من أحبّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)) الحديث، رواه الترمذي وقال: "حديث حسن" وصححه ابن حبان.

الالتزام بمحاسن الأخلاق سبيلٌ لنيل الصلاح والسلامة، وطريقٌ للفوز والنجاة، يقول ﷺ: ((ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذي)) رواه الترمذي وسنده حسن.

معاشر المؤمنين، ولأجل تحصيل هذه الخيرات المتنوِّعة والفوز بهذه الثمرات المتعدِّدة جاءت وصيةُ الرحيم المشفق محمدٍ ﷺ بقوله: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخلق حسن)) رواه الترمذي وقال: "حسن صحيح".

معاشر المسلمين، مفهوم محاسن الأخلاق مفهومٌ واسع وشامل في نظر الإسلام، ومفهومٌ يعني إتيان الإنسان الأرفقَ والأحمدَ من الأقوال والأفعال، ويعني أيضاً سلوكَ كريم الخصال ونبيل الطباع وحميد السجايا.

فمن الأصول الجامعة في بيان محاسن الأخلاق في الإسلام أنها بذل المعروف وكفّ الأذى قولاً كان ذلك أو فعلاً. وبالجملة فقاعدتُها العامة في الإسلام التخلُّق بأخلاق الشريعة والتأدُّب بآداب الله التي أدّب بها عباده، عن عائشة رضي الله عنها أن سعد بن هشام سألها فقال: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت أليس تقرأ القرآن؟! قال: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن. رواه مسلم.

وجمع بعضهم بعضَ علاماتِ حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثيرَ الحياء، قليلَ الأذى، كثيرَ الصلاح، صدوق اللسان، قليلَ الكلام، كثيرَ العمل، قليل الزلل والفضول، براً وصولاً، وقوراً صبوراً، شكورا راضيا، حليما رفيقاً، عزيزا شفيقا، بشّاشا هشَّاشا، لا لعانا ولا سبّابا، ولا منَّانا ولا مغتابا، ولا عجولا ولا حقودا، ولا بخيلا ولا حسودا، يحبّ في الله ويبغض في الله، ويرضى لله ويغضب لله. انتهى.

عباد الله، ومن مظاهر تلك الأصول العامة وفروعها الجزئية من عبق السنة ورياحين السيرة توجيهاتٌ سامية وإرشاداتٌ عالية مبثوثة في ثنايا السيرة وكتب الحديث، كقول رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟! كلّ قريب هيّن سهل)) رواه الترمذي وقال: "حسن غريب"، وكقوله ﷺ لأشج عبد القيس: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة))، وكقوله ﷺ في مقامات أخرى: ((إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحد على أحد)) رواه مسلم، وكقوله ﷺ: ((لا تحقرنّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)) رواه مسلم.

إخوة الإسلام، من الأخلاق الحسنة ما يكون الإنسان مجبولا عليه، ومنه ما يكون مُنالا بالاكتساب والمجاهدة، قابلاً للتعديل والتقويم، قال القرطبي: "الخلق [جِبِلَّة] في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها إن كان محموداً وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً"، وقال الماوردي رحمه الله: "الأخلاق غرائز كامنة تظهر بالاختيار، وتُقهر بالاضطرار" انتهى.

فعلى المسلم المجاهدةُ في تهذيب أخلاقه وتقويمها، قال عليه الصلاة والسلام: ((إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرّ الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشرَّ يوقه)) رواه الخطيب بسند حسن، ويقول ﷺ في دعائه: ((اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)) رواه النسائي بإسناد صحيح.

معاشر المؤمنين، الاعتبار الفذّ في أخلاقيات الإسلام هو اعتبارٌ عقائدي، ينبع من وازع ديني. أخلاقياتٌ لم تنبع من البيئة ولا من الاعتبارات الأرضية، وهي لا تستمدّ ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات المصالح. فالتمثُّل بمحاسن الأخلاق في الإسلام غير مقيّد ولا محدود بحدود، بل هو ثابت لا يتغيَّر بتغيُّر زمان، ولا بتحوّل مكان، يشمل أحوالَ المسلم كلَّها صغيرها وكبيرَها، دقيقها وجليلَها، وليست فضائلَ مفردةً فحسب، بل هي منهجٌ متكامل، تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليها فطرةُ الحياة كلِّها واتجاهاتُها جميعاً، في إطار كمال وجمال وتوازن، واستقامةٍ واطِّرادٍ وثبات.

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا بأحسن الأخلاق، والتمسوا أكرم المقال والفعال، تنالوا الخير وجزيلَ الثواب.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل الأنبياء والمرسلين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

يا أمة الإسلام، هذا هو الحديث عن أصل من أصول الإسلام، قِيمٌ عليا وأخلاقٌ نُبلى وفضائل لا تُحصى.

ومع هذا الوضوح والجلاء فإن أعداءَ الإسلام يشُنون الحملات على هذا الدين وعلى أهل هذا الدين، يفترون على دين الإسلام ويفترون على بلاد الحرمين بنعوتٍ وصفات لا تتَّفق مع المنهج الإسلامي الحق، ولا مع السلوك العملي الذي يزاوله أهل الإسلام من المنطلقات الصحيحة لدينهم كما سمعنا آنفا.

وكل ذلك ما هو إلا من إفرازات بغضٍ دفين وحقد مكين لهذا الدين، فهل يدرك العقلاء أن ما يشنّه المغرضون ما هو إلا قلب للمفاهيم، وإفساد للتصورات الصادقة، وتغيير للحقائق الثابتة؟!

ألا فلتفخرْ الأمة بدينها، وتعتزَّ بشريعتها، وتبذلْ قصارى جهدها في الدعوة إليه والدفاع عنه.

فواجب المسلمين العيشُ للإسلام، والدعوة إليه، والاهتمامُ بقضاياه حقَّ الاهتمام، والانشغال بهموم الأمة ومآسيها، فتلكم مسؤولياتٌ كبرى يتحمَّلها الجميع، ويُسأل عنها كلُّ أحد أمام رب العالمين.

إخوة الإسلام، ومن وراء تلك الحفنة الحاقدة نابتةٌ من بني جلدة المسلمين، من يرفض الإسلام ديناً ومنهجاً، عبثوا بالأسس الدينية والقيم الأخلاقية والمقرّرات التاريخية، سخَّروا الأقلام والإعلام لتقويض دعائم الحياة الصالحة والأخلاق الفاضلة، بهدف خلق جيل مظلم الروح، ضعيف اليقين، قليل الدين، فاقد الخلق، عديم الحياء، فاللهم سلم المسلمين من شرورهم، واجعل كيدَهم في نحورهم.

معاشر المسلمين، ونحن نعيش لحظاتٍ ماتعة عن حديثٍ في المنهج الأخلاقي في الإسلام الواضح الجلي، فإن الإنسان يعجب أشدّ العجب كيف يوصَف الإسلام بما هو منه براء، وكيف تُعكس الحقائق وتُقلب المفاهيم، أين هؤلاء من الصهاينة الحاقدين الذين لا يعرفون من الأخلاق إلا اسمَها، ولا يألفون من الطباع إلا أخسَّها، ولا يسلكون من الصفات إلا أقبحها؟!

الصهاينة قسوةٌ في القلوب، شرَهٌ في النفوس، بغيٌ في الأرض، تطاولٌ على الخلق، سبيلهم الزعزعةُ والهدم، وسُبُلهم المخادعة والتضليل والتلاعب، نقضٌ للعهود والمواثيق، تحريفٌ للكلم عن مواضعه، لا ينصاعون لمساومات ولا يصدُقون في محادثات، الخيانة خلقُهم، والكذبُ مطيَّتهم، والدسائس في السراديب المظلمة مسلكُهم، خلقُهم فظائع في الخلق مروِّعة، ومذابح منفّرة. فيا ترى، ويا عقلاء العالم، من هو عدوّ الأخلاق الكريمة إذاً؟! ومن هو مخترقُ الحقوق الإنسانية والكرامة حينئذ؟!

أيها الناس، إن ميلَ الميزان في كل شأن لا يعدِّله إلا القرآن، والحلّ بيّن والحقُّ واضح، فهل يفيق الذين في سكراتهم يعمون؟!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ آتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة:١٤٥-١٤٧].

ثم إن من أفضل الأعمال وأزكاها الصلاةَ والسلام على النبي محمد.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين...